



يقدم الروائي السوري خليل صويلح في كتابه "ضد المكتبة" تجربته الشخصية مع الكتب والمكتبات، من موقع القارئ في المقام الأول.

الكتاب الذي صدر عن دار نينوي، 2017، يعده صويلح "سيرة ناقصة للكتب، غير قابلة للاكمال، أو التشریح النهائي، سيرة ضباية بمرآة مغبشة، مغامرة ما، وينبغي أن أفتش عنها في متاهة كتب أخرى، مثل لعنة أبدية في تجوال طليق يطيح هندسة رفوف المكتبة، رأساً على عقب".

يقول صاحب رواية "اختبار الندم" أن مكتبته تعرضت لارتحالات قسرية، من منزل مستأجر لآخر، مما اضطره إلى الاستغناء عن بعض المجلدات بلا ندم، والبعض الآخر تخلص منها لأسباب تتعلق بالإفلاس. مستطرداً: "هاجرت معظم مقتنياتي الأولى من الكتب، إلى عناوين مجهولة، سواء كإعارة، أو كسطو على يد أصدقاء، أو بسبب الإهمال. لا أعلم ماذا فعل سائق شاحنة النقل بمكتبتي اليوم، ولكنني لم أملك مكتبة حقيقية عداها، إذ تتوزع كتيبي بين أماكن متعددة في البيت، في صندوق كنية، أو أريكة طويلة، أو رف خزانة للثياب".



أشار صاحب رواية "بريد عاجل" أنه ينفر من أولئك الذين يلتقطون الصور أمام رفوف الكتب، بصحبة شهادات تقدير وجوائز محلية بإطارات ذهبية، وصورة شخصية للمؤلف إلى جانب صورة نجيب محفوظ أو ماركيز.

ويتساءل صويلح ما جدوى الاحتفاظ بمجلدات ضخمة في رفوف مكتباتنا، بعد أن باتت متوفرة في مواقع إلكترونية متخصصة؟ وهل كل ما اقتنيه من كتب ينبغي الحفاظ عليها مدى الحياة؟ هذه التساؤلات هي ما دفع الروائي خليل صويلح إلى الدفاع عن فكرة "اللامكتبة" والتي تعني في المقام الأول الاكتفاء بعناوين مؤسسة ومؤثرة وخلافة، وبإسراف نقدي أكبر.



يؤمن صاحب رواية "جنة البرابرة" أن المكتبة ليست بحجمها، إنما في نوعية محتوياتها، فنحن نحتاج إلى الكتب التي تقوم بتغيير مصائرنا. مستطرداً: "بريق السطر الأول وضعني في ورطة قراءة هذا الكتاب أو ذاك. الإصغاء إلى رنين الجملة الأولى، يضعك في اختبار الصعود إلى حافلة الكلمات بثقة أو إلغاء الرحلة".

يواصل خليل صويلح في الكتاب تقديم قراءات نقدية عن الكتب التي تركت آثارها في قلبه وعقله. فكتب عن غابرييل ماركيز ورائعته " مئة عام من العزلة " موضحاً: لا نظن أن روائياً عربياً معاصراً، لم تصبه لعنة ماركيز، ذلك أن الواقعية السحرية التي دشنها هذا الروائي الفذ، مع حفنة استثمار العجائبي الذي كان مهماً في البيئات المحلية". ويتفق صويلح مع الروائي الأمريكي هنري ميلر في كتابه "الكتب في حياتي" والذي لجأ فيه ميلر إلى تأريخ سيرته الشخصية عن طريق الكتب، بوصفها حياة موازية. معترفاً بأن الكتب الفريدة نادرة. واستحضر في عرضه لكتاب "أين كانوا يكتبون: بيوت الكُتاب والأدباء في العالم" أحوال الأدباء العرب كصورة مضادة، فالكاتب العربي بالكاد يجد مكاناً خاصاً به. ويسأل ترى ماذا ستكون الحويلة، لو كان هذا الكتاب مخصصاً لبيوت الكُتاب العرب؟ بيوت بالأجرة، ومكتبات تباع على الأرصفة، وكتب مكدسة في المستودعات.

الكتاب ليس دعوة لكره المكتبات بقدر ما هو بيان حب لتخفيف مكتباتنا من الزوائد، فيضيف صويلح: "ضرورة إطاحة عناوين تسللت عنوة إلى الواجهة بقوة دفع إيديولوجية، وسطوة أسماء مرموقة تارة، أكثر منها حاجة روحية أو معرفية. هناك كارثة الكتب التي تصلنا كإهداءات بلاغية مفزعة، من كتبه هواة خصوصاً، هؤلاء الذين يطاردون المحررين الأدبيين في الصحف والمجلات وصناديق البريد وطاولات المقاهي بأعمالهم البلهاء غالباً. أيضاً الكتب التي تحمل توابع جنرالات سابقين لم يخوضوا حرباً واحدة. كما ينبغي إطاحة الكتب التي تحوي مقدمات نقاد منافقين تمتدح عبقرية شاعرات وروائيات خصوصاً".

الكاتب: [خلود الفلاح](#)